الأب يوحنا عقيقي – نائب رئيس الجامعة للبحوث – جامعة الروح القدس الكسليك

بمناسبة "يوم شكيب خوري" – ٢٣ أيار ٢٠١٢

شكيب خوري الفنّان المفكّر[1]

لا أخفي عليكم أنّي أقف أمامكم محتارًا، أطرح على نفسي أكثر من سؤالٍ وكلُّ الأجوبة هاربةٌ كحقيقة هيغل، ἀλή-θεια المعلّقة بأهداب الباشات *Les Bacchantes*، والمتنقّلة بين الهضاب والوديان، لا تعرف صخرةَ رجاءٍ ترتاح عليها، ولا تقدرُ على وصف ما يخمِّر فكرَها ويروّي بالها، فتتهادى سكرى ذاتَ اليمين وذات اليسار، عينُها على عين الحبيب وقلبُها يسابقها إلى قلبه، لأنّ فيه حياتَها، منه وجودُها وعليه تصبُّ ما تبقّى لها من أشواقٍ وغمزاتٍ وابتسامات؛ علّها تعرفُ ما يصيبُها.

هذه حالتي مع شكيب منذما قدّم إليّ مجموعة أعماله، ومنها "طقس الرحيل"؛ فودّعتُ معه الشمسَ والقمرَ، لأغرقَ، معه أيضًا، حتّى عمق الصورة، كما خرَجَتْ من مخيّلة الفنّان الأوّل، الذي نفخَ في الألوان روحًا لا حاجة بعدَه إلى ظلال، ولا إلى عتَمة الزوايا، لشُعاعٍ راقصٍ على تاجِ وردة، ولا حتّى لآهٍ مرتعشة؛ فالخيوط تنسابُ برقّة، والمعاني ترتاحُ في القعر، لتعكسَ على وجه اليمّ ما يهزّ مشاعرَ المشاهد والسامع والبحّار المختبر.

والصورةُ كما انطبعت في ذاكرتي، وعلى لوحة المفاتيح في مخيّلتي، هي صورة آدميّ، "من حبّة تراب"، تَقرَّبَ من المثال إذ حرّرته تجربتُه من الخربشات المركّبة عشوائيًا، دينيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، "ليمسحَ جسمَه بميرون البدايات، يُخلي العقلَ من التراتيل، ويمشي عاريًا إلى عشيقة الخيال"[2]. تواصل شكيب والإبداع، فرسمَ الشخصَ كما عاشه في الوجع وفي الفرح، في الليل وفي النهار؛ وكناقدٍ مسؤول، لاعبَ الإبداع على أرض الواقع مُسقِطًا القناعَ تلو الآخر.

وإنسانُه؟! ماذا أقولُ في الإنسان عند شكيب، في شكيب، وقد مرّ عليه الربيعُ مرّةً واحدةً ليسكنَ السكينةَ في قلبه، ويسامرَ الألوان في عينيه، ويدعو إلى مسابقة الأفكار على الجَنى، حيث تضجّ المخيّلةُ بوابل العِبر، والسكْبُ انسكابٌ تارةً على الخشبة، وطورًا على الورقة، ودائمًا حيثما ارتمى الفكرُ وحلّ في الجامعة، في بيته. ربيعُه يضحكُ من السنين، همُّه العطاءُ ورسالتُه مبادرةُ الشمس بالأحلى، كانعكاسِ الضوء على المرآة، حيث تصير "الخيمةُ سنابل، الوجهُ أيقونة والمعولُ ترتيلةَ النهر"[3]. لهذا السبب، تزدحِمُ أمامَ باب بيته أصواتُ المهنّئين

---

[1] . كلمة أ. يوحنا عقيقي نائب رئيس جامعة الروح القدس، الكسليك، للأبحاث، في حفل توزيع الجوائز على المتسابقين حول أعمال شكيب خوري الكاملة.

[2] . *طقس الرحيل*، "الميرون"، بيسان، 2010، ص 41.

[3] . *حروف الأزمنة*، الآن، 2002، ص 34.

بالنصر المشعِّ من داخل. فالشبابيكُ عنده لا ستائرَ عليها، النور جُوّانيّ يُلطّفُ الروحَ ويشفُّ المادّة، ليدلّ على البهاء.

وإنْ سألتُ نفسي للمرّة الألف ما سرُّه؟ ما سرُّ السحرِ الرابض على مفرق الكلمات؟ ما سرُّ المركبةِ الناريّة المحلِّقَة فوق الكائنات؟ العابقةِ بأريجٍ من تلك الجنّات؟ فهل تكشفُ الهالةُ (*aura* بينيامين) المخفيَّ وراء اللوحات؟ أخطأَ مَن اعتقدَ أنّ موناليزا وحدَها تجيدُ أسْرَ العقول بالبسمات! فكلُّ روايةٍ، ككلّ لوحة، ككلّ شعرٍ له، يقظةٌ على المجهول في غورِ الصفحات. هذا فنُّ شكيب وهو "**الظُهور الوحيدُ لبعيدٍ وهو قريب**"[4]، « *Einmalige Erscheinung einer Ferne, so nah sie auch sein mag* ». هكذا تجعلُنا رؤياهُ نشعرُ بالقربِ والبعد، في آن، كلَّ مرّة فاجأتنا الدهشةُ في أعماله، وصفا الإبداعُ سِحرًا بين أنامِله. يقتربُ بالجودِ والغبطة، ويبتعدُ بالوَلَه والرعشة. والحيفُ، كلّ الحيف، على قرّاءٍ لم يألفوا العَجَب، مشاهدينَ لم يروّضوا الغَضَب، فمرّتْ بهم المشاهدُ كما على جلمود صخرٍ لا رَوحَ فيه، ولا عَصَبْ.

شكرًا لك شكيب، لأنّك أنتَ، فيما ملكتَ وملّكت، شكرًا لأنّك معنا، بيننا، تحرّرنا، تُنهِضُنا من رتابة اليوم ككلّ يوم، تزرعُ في حرَمنا رمّانةً تَعْصُر على أطباقنا نكهةَ الامتياز في عِزّ العطش. وهل نخافُ بعد اليوم زحفَ العولمة وعندنا من يكلّل تمايُزَنا، ويميّزُ فرادتَنا في أرض اللبن والعسل والأحلام؟ عندنا من يجيدُ ركوبَ الأمواج ولا يغرَق؟ من يعرفُ كيف تُصطاد اللآلئ وتُرصّع العقودُ والأساور ولا يأبه؟ شُكرًا لأنّك تزرعُ في أجيالنا، أساتذةً وطلّابًا، حبَّ التنافس على الجميل، رهبةَ الوقوف أمام الممكن في المستحيل. وهل يكونُ فنٌّ إن لم نَستَهْدِفِ المُستحيلَ ونتخطّى الحدود؟ أو أن نحلِّق "إلى أبعد الحدود" كما يهوى ذلك لاعبُ الشطرنج[5]؟

شكرًا لك لأنّك أعطيتنا الجوابَ على لسان الإنطاكيّ في بداية **تجاعيد الأحلام**: "إنّ ما نكتبُ عنه ولا نعرفُه يبقى متخيّلًا، وما نختبرُه فقط يصيرُ هُويّة المجتمع والمكان والأزمنة، وتظهر منه الحقيقة"[6]. هويّة شكيب، الفنّان المفكّر والإنسان المعبّر، هي حقيقة اليوم الباقية في جامعَتِنا لكلِّ يوم. هو الذي عاش للحقيقة، باحثًا، معلّمًا، مربّيًا عطوفًا ومشاركًا واهبًا. فالحقيقةُ المعاشة كسِراجٍ يوضعُ على المنارة وليس تحت الطاولة أو تحت السرير. الحقيقة كما شاركَها شكيب طلاّبَه وزملاءَه، ما فَتِئَتْ هاربةً ولكنّها مطمئنّة، لأنّها ترى في البعيد ضوءًا لهدي السبيل، لذا نجدُها تصارع الفناء في كلِّ أعماله، وكأنّه أدرك فعلًا أنّ الحبّ أقوى من الموت والحياةَ أبقى، كانتصار اللحظة على الزمن، انتصار البسمة على الألم، انتصار الكلمة على العدم. شكرًا لك شكيب.

نشكر من حَضَر ونفّذ وكمّل.

---

[4] . Walter Benjamin, *Œuvres* I-III, Paris, Gallimard, folio, 2000.

[5] . "فالقواعد لا تمنع ذاتيّة الكاتب من التحليق إلى أبعد الحدود، خاصّة عندما يدرس ويستعين ب"عقل" و"خلايا" و"جسد" الدراما، ويديرها بذكاءٍ وبراعةٍ كما يحرّك حجارة الشطرنج. *"الكتابة وآليّة التحليل، مسرح سينما وتلفزيون"* ، بيسان، 2008، ص 8.

[6] . *تجاعيد الأحلام*، بيسان، 2000، ص 7.